ليبيا من خلال الكتابات الأجنبية – الأوروبية- أنموذجا-القرن 19م

د/ عبد القادر مشاوي

مخبر اللهجات ومعالجة الكلم - جامعة وهران 1 أحمد بن بلة abdelkader-mechaoui@outlook.fr

الملخص:

اتسمت الأدبيات التاريخية الغربية عموما، بالمبالغة والسطحية في محاولة التشويه الحقائق التاريخية وتزييفها عند كتابتها للقضايا المتعلقة بتاريخ ليبيا، خاصة الفترة التي عرفت فيها ليبيا إنزال نخبوي غربي إبان الاحتلال على فكرة قامت لإعادة كتابة تاريخ شمال افريقيا كطرح أسس لظهور الاسطوغرافيا الاستعمارية أو ما يسمى بالمدرسة الغربية التاريخية، تلك التي كتبت بكثير من التزييف والتشويه والتركيز المتعمد على فترات تاريخية محددة وإهمال غيرها، أدى هذا الأمر إلى فقدان الكتابات للموضوعية والطرح العلمي البناء. ولم تخلوا أغلب الدراسات والاستكشافات من الجدية والبحث المهم ما يهدف إلى إبراز القيمة العلمية والجغرافية، والجيولوجية، المونوغرافية نحن بحاجة ماسة إليها والتي تجعلنا نبحث في كتاباتهم لعلنا نميز القيم منها. نحاول في هذه المداخلة الوقوف على بعض الدراسات الغربية رغم كثرتها التي خصت ليبيا.

إن اختيار موضوع ليبيا عبر الكتابات الأجنبية أو الغربية، راجع بالأساس إلى غنى هذه الدراسات من حيث المعلومات والمعطيات، وتعتبر مكسبا مهما في سوسيو أنثروبولوجا للباحثين والمهتمين والدارسين وغيرهم، والتي تعطي لنا نظرة وافية لتاريخ ليبيا، وقد تجاوزت بعض هذه الدراسات، النزعة والذاتية الكولونيالية، ويمكننا القول إنها اتسمت بنوع من الجدية لكونها ذات طابع مونوغرافي واثنوغرافي. ***الكلمات المفتاحية: ليبيا، الكتابات الأجنبية، غدامس، برقة.***

Summary:

, has been characterized by exaggeration and superficiality in its attempt to distort and falsify historical Western historical literature, in general facts when writing about issues related to the history of Libya, especially the period in which Libya witnessed the influence of Western elitists during the occupation on an idea that arose to rewrite the history of North Africa as laying the foundations for the emergence of colonial histography or the so-called Western school. Historicism, which was written with a lot of falsification, distortion, and deliberate focus on specific historical periods and neglecting others, led to the writings losing objectivity and constructive scientific presentation. Most of the studies and explorations were not devoid of seriousness and important research, which aims to highlight the scientific, geographical, geological, and monographic value that we urgently need, which makes us search their writings so that we may distinguish the values from them. In this intervention, we are trying to review some Western studies, despite their many, that pertain to Libya.

The choice of the topic of Libya through foreign or Western writings is mainly due to the richness of these studies in terms of information and data, and it is considered an important gain in socio-anthropology for researchers, interested people, scholars and others, which gives us a comprehensive view of the history of Libya. Some of these studies have transcended the colonial tendency and subjectivity. We can say that it was characterized by a kind of seriousness because it was monographical and ethnographic in nature.

Keywords: Libya, foreign writings, Ghadames, Cyrenaica.

مقدمة:

اتسمت الأدبيات التاريخية الغربية عموما، بالمبالغة والسطحية في محاولة التشويه الحقائق التاريخية وتزييفها عند كتابتها للقضايا المتعلقة بتاريخ ليبيا، خاصة الفترة التي عرفت فيها ليبيا إنزال نخبوي غربي إبان الاحتلال على فكرة قامت لإعادة كتابة تاريخ شمال افريقيا كطرح أسس لظهور الاسطوغرافيا الاستعمارية أو ما يسمى بالمدرسة الغربية التاريخية، تلك التي كتبت بكثير من التزييف والتشويه والتركيز المتعمد على فترات تاريخية محددة وإهمال غيرها، أدى هذا الأمر إلى فقدان الكتابات للموضوعية والطرح العلمي البناء. ولم تخلوا أغلب الدراسات والاستكشافات من الجدية والبحث المهم ما يهدف إلى إبراز القيمة العلمية والجغرافية، والجيولوجية، المونوغرافية نحن بحاجة ماسة إليها والتي تجعلنا نبحث في كتاباتهم لعلنا نميز القيم منها. نحاول في هذه المداخلة الوقوف على بعض الدراسات الغربية رغم كثرتها التي خصت ليبيا.

إن اختيار موضوع ليبيا عبر الكتابات الأجنبية أو الغربية، راجع بالأساس إلى غنى هذه الدراسات من حيث المعلومات والمعطيات، وتعتبر مكسبا مهما في سوسيو أنثروبولوجا للباحثين والمهتمين والدارسين وغيرهم، والتي تعطي لنا نظرة وافية لتاريخ ليبيا، وقد تجاوزت بعض هذه الدراسات، النزعة والذاتية الكولونيالية، ويمكننا القول أنها اتسمت بنوع من الجدية لكونها ذات طابع مونوغرافي واثنوغرافي.

اكتست ليبيا مكانة حضارية مرموقة، بفضل توافر عوامل عديدة، منها الآثار التي لا تزال شاهدة على عراقة ليبيا، وعمقها التاريخي وامتدادها الحضاري بالإضافة إلى دورها المتوسطي والإقليمي على مدار الزمان، وهو ما دفع الرحالة والمغامرين الأوروبيين وعلى رأسهم الفرنسيين إلى استكشاف أو إعادة قراءة وبعث تاريخ ليبيا من منظور غير بريء، الغرض منه دراسة المنطقة لمحاولة احتلالها واستعمارها، فكانت رحلة فيكتور لارغو (Victor Largeau) المعنون بـ: رحلة إلى الصحراء وغدامس (Voyage dans le Sahara et à Rhadamès) الصادر سنة 1877 عن مطبعة مارتيني باريس، أين ينطلق الرحالة من تقرت بالجزائر مرورا بوادي سوف إلى أن يعبر الحدود الليبية ليصل إلى واحة غدامس، أين يعطي وصفا طبوغرافيا للمنطقة وأهلها، مشيرا على الأثار الرومانية لمدينة سيداميس (Cydamus).

زد على ذلك الدراسة المهمة التي تناولت تاريخ ليبيا القديم من منظور فرعوني والتي قدمها الألماني فان يوهانس دوميشن (von Johannes Dümichen) عام 1877، بعنوان: واحات الصحراء الليبية: أسماؤها القديمة وموقعها. والمعبودات التي عبدت في معابدها بحسب روايات الآثار المصرية القديمة، (Die Oasen der libyschen Wüste : ihre alten Namen und ihre Lage... und die in ihren Tempeln verehrten Gottheiten, nach den Berichten der altaegyptischen Denkmäler) والصادر عن مطبعة تريبنار سراسبورغ 1877، حيث يتناول فان يوهانس بعدما أوفدته الحكومة البروسية لاستكشاف وادي النيل عامي 1862 و1868. لكنه عاد سنوات السبعينات من القرن التاسع عشر لدراسة ليبيا ما بين 1875 و1876، هذه الدراسة لم تكن الوحيدة من المانيا بل سبقه الرحالة الألماني غيرهارد رولفس (Gerhard Rohlfs) ودون ذلك في كتاب أسماه: السفر عبر المغرب وتسلق الأطلس الكبير واستكشاف واحات تافيلت وتوات وتيديكلت والسفر عبر الصحراء الكبرى من غدامس إلى طرابلس، الكتاب صادر عن مطبعة كوتمان –بريمن- ألمانيا 1868 ناهيك المهمة العسكرية التي قام بها الضابطان الفرنسيان ميرشي و بولينياك (Mircher et Polignac) عام 1862، بعنوان: مهمة غدامس وهي عبارة عن مهمة عسكرية استخبارية في محاولة للتوغل الاستعماري الفرنسي بليبيا، زد على ذلك الكتاب المهم للإيطالي باولو ديلا تشيلا (Paolo della Cella) الموسوم رحلة إلى أفريقيا: مملكة برقة بالقورينائية عبر الصحراء، والصادر سنة 1840 عن مطبعة أوبري باريس فرنسا، والكتاب يحمل ملاحظات في غاية أهمية دونها باولو عن برقة ودراسة تاريخية وجغرافية ونباتية ومذكرات عن برقة القديمة والحديثة.

مشكلة البحث:

لقد حاولنا في هذا البحث حصر الغيض من فيض الكتابات الأجنبية الأوروبية أنموذجا القرن 19 م حول ليبيا واخترنا منها زبدة ما نشر في أمهات الكتب والأبحاث الغربية.

يعتبر التاريخ الوطني أو القومي للمجتمعات جزءا من الكتابة التاريخية الإنسانية، كما أن الكتابات أو الدراسات الأجنبية تعد آلية أساسية من آليات التاريخ لأي دولة، ومن هنا يمكننا البحث عن موقع تلك الكتابات أو الدراسات الأجنبية من الكتابة التاريخية خاصة في الفترة التي مرت بها مجتمعاتنا العربية الإسلامية من تكالب الدول الغربية عليها بداية من القرن التاسع عشر مما جعل التاريخ يشهد محطات فراغ لم ولن يعوضها إلا الكتابات الأجنبية.

واجتهد الغربيون في كتابة ما يرضي منظري السياسة الاستعمارية على فكرة قامت لإعادة كتابة تاريخ شمال أفريقيا، كطرح أسس لظهور الاسطوغرافيا الاستعمارية أو ما يسمى بالمدرسة الغربية التاريخية، تلك التي كتبت بكثير من التزييف والتشويه والتركيز المتعمد على فترات تاريخية محددة وإهمال غيرها، أدى هذا الأمر إلى فقدان الكتابات للموضوعية والطرح العلمي البناء. ولم تخلوا أغلب الدراسات والاستكشافات من الجدية والبحث المهم ما يهدف إلى إبراز القيمة العلمية والجغرافية، والجيولوجية، المونوغرافية نحن بحاجة ماسة إليها والتي تجعلنا نبحث في كتاباتهم لعلنا نميز القيم منها.

إلى أي مدى يمكننا الاعتماد على الكتابات الغربية وذلك اعتمادا على المصادر الأساسية وعلى نقد الكتابات الأجنبية والاستفادة من مناهج العلوم الحديثة؟

وهل يمكننا غربلة وازالة العث من الكتابات والدراسات الأجنبية وكتابة التاريخ الوطني وتدريسه ضمن مشروع التنمية الوطنية الهادف للحفاظ على تماسك الأمة ووحدتها ويضمن صيانة هويتها؟

كيف يكون للمؤرخ دور في صناعة القناعات والتوجهات الوطنية ومعرفة بنية المدرسة التاريخية الوطنية؟

أهداف البحث:

ينصب هدف البحث إلى إبراز أهمية تلك الدراسات واستخراج الفائدة منها ثم الرد عليها بطريقة علمية أكاديمية والقيام بدراسة معرفية لتلك الأبحاث التي تشكِّل الوعي الجماعي للمجتمع وما يمكن أن ينتج عنه من قيم وسلوكيات، وفي ذلك محاولة لإعادة امتلاك التجارب التاريخية وإحداث حالة وصل بين الماضي والحاضر وتكوين مدرسة وطنية محلية لنقد والرد على الاسطوغرافيا الأجنبية وبعث تاريخ ليبيا من جديد بعيدا عن الانشغالات التاريخية.

منهج البحث:

للإجابة على الإشكالية المطروحة، ومن أجل الوصول إلى الحقائق التاريخية اتبعنا المنهج الاستقرائي والذي يعد من مناهج البحث العلمي حيث قمنا من خلاله بعملية القراءة المكثفة والدراسة المتعمقة والملاحظة الشديدة للظاهر

التي أخذناها في مضمون البحث العلمي. وقمنا بعملية الاستقصاء وجمع المعلومات. وكذلك الفهم الدقيق والتحليل المفصل لمكونات الظاهرة حتى الوصول لنتائج يمكن تعميمها على جوانب الظاهرة المختلفة.

تمهيد:

سنعرض في بحثنا الموسوم بـــ : " ليبيا في القرن التاسع عشر الميلادي من خلال الكتابات الأجنبية" مجموعة من المصادر الوصفية الأوروبية بمختلف تخصصاتها، من جغرافية وتاريخية، اجتماعية ودينية، رتبنا عرض فحواها ترتيبا كرونولوجيا على حسب تاريخ النشر من القرن 19 إلى المنتصف الأول من القرن 20م، وهي جزء من مجموعة كبيرة، حاولنا إدراج البعض منها (ما يخدم جوهر البحث)، ليتسنـى لنا مستقبلا في مقالات علمية أخرى مجزأة أو كتب علمية، ندرج القائمة المتبقية منها، نظرا لما جاء فيها من معلومات قيّمة كونها مصادر مهمة لا مقارنة لها، فهي تصف منطقة البليدة وما جاورها بأعين الدقة والتدقيق.

1. الرحلات الاستكشافية في ليبيا:

وأول ما نفتتح به هذه البحث هو كتاب للرحالة ليون فيكتور لارغو (Léon Victor Largeau) الذي ولد في 21 جوان 1842 – نيور (Niort) فرنسا، وتوفي في 26 مارس 1897، هو مستكشف فرنسي ومدير استعماري، والد فيكتور إيمانويل لارغو. فبدعم من هنري دوفيري[1] (Henri Duveyrier) وشارل مونوار[1] (Charles Maunoir)، حاول في عام 1874 الحصول على مساعدة مالية من غرفة تجارة مرسيليا لتنظيم رحلة تجارية وعلمية إلى غدامس (ليبيا). حيث قامت غرفة التجارة فيليبفيل[1] بالجزائر والمجلس العام لعمالة قسنطينة بمنحه بعض الإعانات.

وفي عام 1875، مرورًا بحاسي بوثين، وصل أخيرًا إلى غدامس. عاد مع لويس ساي[1] (Louis Say) في العام التالي إلى غدامس عبر طريق بريسوف دون أن يحصل على دعم التجار الذي كان يريده.

ويعتبر المسؤول عن دراسة طريق السكة الحديد عبر الصحراء (1877) مرورا بورقلة ووادي مية وتيديكلت، ولم يتمكن من تجاوز حاسي سميلة، فقد رفض سكان عين صالح التعاون معهم ومنعوهم من دخول المنطقة.

ترك الاستكشاف في عام 1881 بعد مذبحة مهمة فلاتار[1] (Flatters)، والتحق بالعمل في الإدارة الاستعمارية وخدم في السنغال (1885) ثم في الكونغو (1894). عاد إلى فرنسا عام 1896، وتوفي في العام التالي في نيور.

وقدم فيكتور لارغو عدة دراسات وترجم العديد من الاعمال العربية الى الفرنسية ومن أهم اصدارته:

أ. انتقام علي، قصيدة عربية، ترجمة فيكتور لارغو، 1875
ب. الصحراء: الرحلة الاستكشافية الأولى، 1877
ت. بلاد ريغ، ورقلة، الرحلة إلى غدامس، 1879
ث. النباتات الصحراوية: قصص وأساطير، ترجمة من العربية لفيكتور لارغو، 1879
ج. الصحراء الجزائرية، صحاري العرق، 1881
ح. موسوعة باهوين، الكونغو الفرنسية. عناصر النحو والقاموس الفرنسي-الباهويني، بوسث، 1901.

وكتاب محل دراستنا هاته الموسوم بـ: رحلة إلى الصحراء وغدامس،.(Voyage dans le Sahara et à Rhadamès) والذي طبع سنة 1877 عن مطبعة ماتيني بباريس والكتاب عبارة عن دراسة قدمها للجمعية الجغرافية بفرنسا، حيث يستهل لارغو رحلته الاستكشافية من ورقلة بالجزائر مرورا بعدة مدن وواحات قبل ان يلج الحدود الليبية متجها الى غدامس ويقدم عنها مسحا طبوغرافيا ووضع خرائط طبوغرافية لجميع المعالم الجغرافية لغدامس، مثل التلال، والوديان، والمناظر الطبيعية، واستخدم بالخريطة الطبوغرافية الخطوط الكنتورية من أجل إظهار كافة المظاهر الجغرافية، وذلك لتسهيل البعثات الاستكشافية والحملات العسكرية نحو غدامس، واستعمال الخريطة للعثور على المسافة الأفقية؛ وحساب منحدر الأرض، حتى أنه قدم دراسة جيولوجية عن غدامس، وإذا قمنا بالنظر إلى خريطة جيولوجية فسوف نلاحظ أنها لا تتكون من الأشكال فقط، ولكنها ملونة بظلال متنوعة، وذلك لتصوير مناطق محددة، وتوضيح فصل مناطق الأرض الواحدة عن بعضها البعض. وسجل لارغو على تلك الخرائط المعلومات الجيولوجية عليها، مثل العلاقات العمرية للوحدات الصخرية والرواسب المعدنية، والبنية الجيولوجية من خلال أنماط تكوينية متفردة، ويتم ذلك عن طريق وجود بعض الرموز التقليدية التي توضح الاتجاهات، ومستوى الانخفاض في مناطق معينة على الخريطة، كما لعب فيكتور لارغو دورا مهما في تقديم المعلومات ودارسات حول مختلف جوانب منطقة غدامس، من حياة الاجتماعية فيما يخص التركيبة السكانية وتقسيماتها من حيث أصلها وقبائلها وكذلك الحياة لاقتصاديه من تجار وأنشطه الاقتصاديه مختلفة متنوعه ورصد لحركة القوافل التجارية وإحصاء الصادرات والواردات وذلك بهدف استغلال الثروات الطبيعة.

حيث يقول في الصفحة 20 ما يلي: «**...وتقع واحة غدامس على بعد 10 كيلومترات. كثبان رملية كبيرة تقريبًا. إلى الشمال والشرق والجنوب الشرقي من الواحة يمتد سهل هائل، تآكلته الرياح. عمقه عشرة أمتار. يُشار إلى المستوى السابق لهذا السهل بالغور[1]، والذي يرتفع في الأفق مثل الجدران المظلمة. تتكون هذه الغور عمومًا من صخور الجبس المغطاة بقشرة من الحجر الرملي الأخضر أو الحجر الرملي الحديدي الذي يكون أكثر صلابة**

من الحجر الرملي العادي ويقاوم التفكك. لكن هذا يشير في الوقت نفسه إلى أن طبقة الحجر الرملي ليست فقط هي المفقودة من هذا السهل، ولكن أيضًا طبقة الحجر الجيري بأكملها تقريبًا التي يغطيها؛ وفي الحقيقة لقد رأيت، في العديد من الأماكن، اللون الأصفر أو الأخضر الذي يأتي فقط في السطر الثالث.»

ويواصل في الصفحة الموالية قائلا: «**...وفي جميع أنحاء العرق، وخاصة في الأماكن التي يزيد ارتفاع الكثبان الرملية فيها عن 100 متر، حفرت الرياح، أودية ضيقة وعميقة على جدرانها لا يزال من الممكن رؤية القشرة الرملية بوضوح. عموديا أو مائل قليلا. هذه الدروع، التي لا تكون سميكة أبدًا (متر واحد في المتوسط)، تغطي دائمًا طبقة إما من الطباشير الأبيض، أو الحجر الجيري الجبس، أو حتى بعض الرواسب الصغيرة من الدولوميت بالتناوب مع الطبقات السابقة. تحت الطباشير، تمكنت أحيانًا من ملاحظة الطين الأخضر أو المرل الأخضر الطيني جدًا الذي لم أكتشف فيه أي أثر للحفريات، أو حتى المرل الجبسي، الأصفر مثل الكبريت، ولا سيما على حواف سبخة الملح والسبكباس الأخرى والتي تمتد إلى الغرب والشمال الغربي من غدامس. علاوة على ذلك، فإن التكوين الجيولوجي لهذا الجزء من الصحراء الكبرى ليس هو نفسه، على الأقل ظاهريا، مثل تكوين الصحراء الجزائرية، حيث واجه المسبار عدة طبقات رملية على أعماق مختلفة.** »

أما في آخر صفحة من الكتاب وكخلاصة يشير إلى النقص الفادح في المياه وتناقص مياه الآبار القليلة المحفورة بواحة غدامس حيث يشير صراحة إلى انه يمكن حفر أبار جديدة بما ان المياه الجوفية غير عميقة فهي على عمق 4 أو 5 أمتار فقط ويمكن بذلك تحويل السهول القاحبة بواحة غدامس إلى سهول غناء من خلال السيطرة عليها باستعمال عاملين مهمين وهما الذكاء والقوة وطرد الاتراك منها نهائيا حيث يقول: «**...وفي الطبقات المارلية التي تأتي في الخط الثالث توجد طبقة وفيرة يصادفها حفار الآبار على عمق 4 أو 5 أمتار في جميع أنحاء السهل البالي؛ والآن، مع وسائل العمل التي تمتلكها الحضارة اليوم، ليس هناك ما هو أسهل من جلب هذه الطبقة السائلة إلى سطح الأرض، وتحويل السهول الصحراوية الهائلة الممتدة حول غدامس إلى مناطق خصبة. ولكن لكي يتم تحقيق هذا التحول، هناك حاجة في هذه المناطق المقفرة إلى تأثير أكثر ذكاءً وقوة من تأثير الأتراك. سيحدث هذا عندما يحين الوقت المناسب.** »

الكتاب المهم للإيطالي باولو ديلا تشيلا (Paolo della Cella) الموسوم **رحلة إلى أفريقيا: مملكة برقة بالقورينائية عبر الصحراء**،(Voyage en Afrique au royaume de Barcah et dans la Cyrénaïque à travers le désert) والصادر سنة 1840 عن مطبعة أوبري باريس فرنسا، وتم ترجمته من اللغة الإيطالية إلى الفرنسية من طرف أدولف بيزان (Adolphe Pezant) والكتاب يحمل ملاحظات في غاية أهمية دونها باولو عن برقة ودراسة تاريخية وجغرافية ونباتية ومذكرات عن برقة القديمة والحديثة، سرد لرحلة استكشافية من طرابلس إلى الحدود الغربية لمصر، في عام 1817 كما كتب عدة رسائل من طرابلس إلى الدكتور فيفياني (Dr. Viviani) في جنوة، مع ملحق يحتوي على تعليمات للإبحار في سيرت الكبرى. وقد ترجم أيضا من الإيطالية إلى الإنجليزية أنتوني أوفرير (Anthony Aufrere).

ولد في 13 جوان 1792 في كابان، وهي قرية صغيرة تابعة لريزواغليو بالقرب من شيافاري (جنوة)، في عائلة نبيلة، وهو الابن الأكبر للويجي ماريا وأنتونيتا روديني. في عام 1815 حصل على شهادة في الطب، ثم في الجراحة من جامعة جنوة، بعد أن أكمل تدريبه الثقافي والمهني، لا سيما في المجال الطبيعي ومع اهتمام خاص بعلم النبات، تحت إشراف د. فيفياني، أستاذ كرسي التاريخ الطبيعي ومدير الحديقة النباتية بالعاصمة الليغورية.

نظرًا لاهتمامه بإتقان إعداده العملي في المجال الطبي وربط دراساته الطبيعية بالتجارب التي أجراها في أماكن بعيدة عن وطنه، ذهب باولو في العام التالي إلى طرابلس للإقامة مع ابن عمه بارتولوميو بوكاردي (Bartolomeo Boccardi)، قنصل سافوي، الذي اقترح باولو بصفته طبيبًا ورئيسًا للخدمات الصحية، في حملة عسكرية أرسلها باشا طرابلس الحاكم يوسف القرمانلي ضد ابنه المتمرد محمد. بعد أن اكتسب شهرة كبيرة في بلاط سافوي وصداقة واحترام الأدميرال جيورجيو ديسي جيني[1]، لم يكن من الصعب على باولو أن يدخل البحرية السردينية كجراح من الدرجة الثانية ويحقق حياة مهنية رائعة هناك، حيث وصل إلى رتبة طبيب حصل على درجة الدكتوراه في القسم الأعلى للبحرية في عام 1830، وطبيب من الدرجة الأولى حاصل على براءة اختراع ملكية في عام 1839 حتى منصب كبير الجراحين في عام 1842، ثم التعيين الأعلى للطبيب العام للبحرية السردينية في عام 1849. كان باولو ديلا تشيلا عضوًا في العديد من الأكاديميات العلمية الإيطالية والأجنبية، ودكتوراه من آل سافوي، وكان من أوائل الذين حصلوا على وسام سافوي المدني الملكي، الذي أنشأه كارلو ألبرتو (Carlo Alberto) في أكتوبر 1831. تقاعد في الأشهر الأخيرة من عام 1851، بمعاش تقاعدي معقول، مات باولو ديلا تشيلا بجنوة في 26 ماي 1854 ودُفن في مقبرة ستاجلينو.

وعملا بنصيحة الدكتور فيفياني استغل باولو الحرب الأهلية[1] التي اندلعت بين الولد وأبيه حيث قاد يوسف باشا القرمائلي حربا ضد ابنه محمد، حيث جهز يوسف باشا جيشا لمحاربة ولده، فخرج باولو مع قوات يوسف باشا وذلك للوقوف على عدة نقاط مهمة منها معرفة قوة وحجم الجيش وكذا دراسة المواجهات العسكرية بين السكان والقوات الموالية للسلطنة العثمانية، وبذلك استطاع التوغل في دواليب السلطة والرعية وتدوين لمن يميل ميزان القوة، تجدر الإشارة أن باولو ديلا تشيلا شارك في سبتمبر 1825، على متن الفرقاطة "كوميرسيو" التابعة لقائد

السرب الكابتن ف. سيفوري، في حملة عقابية أمر بها الملك كارلو فيليس[1] (Carlo Felice) ضد يوسف باشا القرمانلي باي طرابلس، لدعمه الواضح لما اسمته سردينيا آنذاك (للغارات المتكررة التي يقوم بها القراصنة في المياه الإقليمية الخاضعة لولاية سردينيا)، وعلى وجه الخصوص، للهجوم الشرس الأخير الذي تم تنفيذه على بعض الملاحين بالقرب من الجزيرة. جربة. ويبدوا لنا ان ابن عمه توسط له عند يوسف باشا ليخرج معه في الحملة العقابية ضد الامير محمد.

حيث يقول في الصفحة 66 ما يلي: «**...ألهمتني النصيحة الحكيمة للأستاذ الذي احتفظت له بشعور جميل من الامتنان. وبعد شهرين من العيش في هذه المدينة، رأيت أن الأمل الذي كان لدي بدأ يتحقق في زيارة هذه المناطق البحرية والبربرية التي تمتد على ضفاف سرت الكبرى، حتى طرابلس، حيث يقيم باي هذه الوصاية، ومن ثم إلى الغرب مع حدود مصر عبر برقة. ومع اقتراب الموسم الجميل، بعد أن أرسل باشا طرابلس جيشًا إلى الميدان لدخول هذه البلاد، انتهزت هذه الفرصة التي أتاحت لي كل الوسائل اللازمة للمغامرة في رحلة طالما كانت هدف رغباتي...**»

ثم يواصل الحديث عن طرابلس والمدن المحيطة بها قائلا: «**... مدينة طرابلس مبنية على شاطئ لا يجد فيه عالم المعادن سوى الرمال، وحيث النباتات، المحرومة من كل زراعة، تنبت بشكل مؤلم في هجر كامل. على بعد بضعة أميال من المدينة، تعج البلاد بجحافل من العرب البدو، وأقل خطر يمكن أن يتعرض له المرء، من خلال الضلال قليلاً إلى الداخل، هو الوقوع في أيديهم والقتل، أو تجريدهم من ملابسهم بشكل غير إنساني. والمدن المزدهرة في ليبيا، التي كانت ذات يوم دولة مشهورة، أصبحت اليوم مهجورة ومنسية؛ لا يوجد سوى عدد سكان يتراوح بين خمسة وعشرين إلى ثلاثين ألف نسمة موزعين على المدن...**»

إلى ان نصل إلى الصفحة 127 حيث يقول: «**...موراتي هي المحطة التي يقصدها الحجاج والقوافل الذين يعبرون عزلات سرت المشتعلة، لأنهم يجدون فيها الماء الصالح للشرب لينعشوا أنفسهم ويرويوا عطشهم. وقد تم تجهيز هذا المكان بثمانية إلى تسعة آبار متباعدة عن بعضها البعض، ومقطعة بعمق إلى الحجر الجيري الموجود هناك في طبقات كبيرة. ينطلق من مورات طريقان، أحدهما يمتد بمحاذاة البحر ويتجه إلى بنغازي؛ والآخر يخترق البلاد باتجاه الجنوب عبر برقة، ويعود إلى البحر بالقرب من درنة. تتمتع هذه المنطقة الجبلية بأكملها بالعديد من المصادر ووفيرة جدًا بالمراعي: فهي مكان الإقامة العادي للعديد من القبائل البدوية التي تعيش حياة رعوية. ...** »

كان باولو قادرًا على إجراء الملاحظات والأبحاث، دون المخاطرة وإظهار جرأة كبيرة، نظرًا للمصاعب والأمراض والمشاكل المرتبطة بالصراعات والحروب، وبخاصة المجال العسكري الذي كان ضرورياً للدراسة المباشرة والتحقيق العلمي، تمكن باولو ديلا تشيلا من إجراء دراسات حول القضايا المتعلقة بعلم الأمراض والنظافة والزراعة وإبداء ملاحظات أصلية عن الطبيعة الجيولوجية والجوية والجغرافية والأنثروبولوجية والنباتية والحيوانية، وجمع في نفس الوقت العديد من العينات الطبيعية. وأرسل العديد من المواد المعدنية والجيولوجية التي تم جمعها خلال هذه الرحلة وإرسالها معًا إلى متاحف التاريخ الطبيعي المختلفة. أما بالنسبة لمجموعته الأكاديمية وللدراسات التي أجراها بالفعل حول النباتات الليبية، وأرسل باولو إلى أستاذه فيفياني مجموعة المواد النباتية تحتوي على ثلاثمائة عينة، بما في ذلك ستة وعشرون عينة الأنواع وخمسة أجناس لم يتم اكتشافها إضافة إلى الدور الذي أداه باولو كمستكشف وكجاسوس ميداني قدم أخبارًا في سلسلة من الرسائل إلى القائد الأعلى للبحرية الملكية لسردينيا جيورجيو ديسي جيني[1] (Giorgio Des Geneys) مخططات عن اهم الموانيء والمرافيء العسكرية والتجارية ونوعية السفن السواء الراسية بها أو الداخلة والخارجة من طرابلس إلى الحدود الغربية لمصر.

وقد أثار كتابه **رحلة إلى أفريقيا: مملكة برقة بالقورينائية عبر الصحراء** اهتمامًا كبيرًا في إيطاليا وخارجها، سواء في المجتمع العلمي أو في العالم السياسي والاقتصادي. وذلك لوفرة المعلومات والبيانات عن منطقة تقع حسب الموقع الجغرافي في نقطة استراتيجية للتوسع البحري الأوروبي في البحر الأبيض المتوسط وللاختراق التجاري في المناطق الداخلية لأفريقيا، كانت في الواقع أكثر أهمية في الوقت الذي شعرت فيه العديد من الحكومات بالحاجة إلى تقديم الدعم للدقة العلمية لأبحاثه في الفضاءات الجديدة خارج الحدود الوطنية. علاوة على ذلك، كان باولو ديلا تشيلا نفسه واضحًا بشأن المصلحة السياسية والاقتصادية لإنشاء مستعمرة أوروبية على الأراضي الليبية.

2. محاولة ربط تاريخ ليبيا بتاريخ الفراعنة:

تعتبر النقوش والنصوص المصرية القديمة من فترة ما قبل الأسرات إلى مجيء الإغريق إلى قورينة المصدر الرئيسي الذي تحدث عن القبائل الليبية القديمة في هذه الفترة، منذ محاولات الليبيين الأولى لدخول مصر وحروبهم مع الملوك الفراعنة حتى وصولهم للحكم وانشاء أسرات حكمت مصر، من خلال هذه المصادر نستمد معلوماتنا عن هذا التاريخ من خلال الدراسة المهمة التي تناولت تاريخ ليبيا القديم من منظور فرعوني والتي قدمها الألماني فان يوهانس دوميشن (von Johannes Dümichen) عام 1877، بعنوان: **واحات الصحراء الليبية: أسماؤها القديمة وموقعها. والمعبودات التي عبدت في معابدها بحسب روايات الآثار المصرية القديمة**. والصادر عن مطبعة تريبنار سراسبورغ 1877.

Die Oasen der libyschen Wüste : ihre alten Namen und ihre Lage... und die in (ihren Tempeln verehrten Gottheiten, nach den Berichten der altaegyptischen)Denkmäler

يوهانس دوميشن ولد بالقرب من غلوغو (اليوم غلاسكو) في 15 أكتوبر 1833 -توفي في 7 فبراير 1894 في ستراسبورغ) هو عالم مصريات بروسي. ابن فريدريش دويميشن، القس في هيريندورف، بعد دراسة اللاهوت والفلسفة في بريسلاو وبرلين، أصبح دويميشن متحمسًا لعلم المصريات. أحد تلاميذ ليبسيوس (Lepsius) وبروغش(Brugsch) ، وتدريبه وتأكيده في هذا التخصص، الذي كانت المعلومات الدقيقة عنه مفقودة في البداية، ظل على أية حال يتميز بقوة بنهاية العصر الرومانسي لرواد علم المصريات. بروح المغامرة المثالية والشجاعة، قام برحلة أولى، على نفقته الخاصة وبوسائل محدودة للغاية من عام 1862 إلى عام 1865 إلى مصر والجزيرة العربية والنوبة والسودان، حيث كان ينسخ بلا كلل وبشكل محموم النصوص من جميع الأنواع التي وضعها أيضًا بسخاء في المكتبة. التخلص من بروجش وليبسيوس. خلال هذه الرحلة الأولى، في يناير 1864، التقى في مصر، في إدفو، ببعثة إيمانويل دو روجي(Emmanuel de Rougé) ، الذي التقى به بعد ذلك والذي تجنب الخلاف الأول مع أوغست ماريت (Auguste Mariette) من خلال نصحه بإزالة العلم البروسي الذي كان قد طفا عليه. بوابة المعبد قبيل وصول مدير مصلحة الآثار. لكن بعد ذلك، أدى نشر ليبسيوس للقائمة المهمة لملوك مائدة أبيدوس، والتي نسخها دويميشن في موقع التنقيب الخاص بأوغست مارييت دون طلب إذنه رسميًا، إلى إثارة جدل مرير حول الأولوية، حيث قال إيمانويل دو روجي، الأستاذ في وانحازت المعهد الفرنسي إلى المدير الفرنسي لمصلحة الآثار المصرية. في عام 1867 حصل دويميشن على الدكتوراه الفخرية Ehrendoktor ثم على درجة الدكتوراه من كلية الفلسفة بجامعة لايبزيج ولكن تم رفض ترشيحه لصالح جورج إيبرس (Georg Ebers) عندما تم إنشاء كرسي لعلم المصريات في هذه الجامعة .

قام دويميشن برحلة ثانية إلى صعيد مصر عام 1868، وذلك بفضل الفرصة التي أتيحت له للمشاركة في رحلة استكشافية إلى عدن برعاية ملك بروسيا لمراقبة كسوف الشمس، بصفته رئيسًا لقسم التصوير الفوتوغرافي. وهكذا كان قادرًا على تصوير جزء كبير من الآثار في صعيد مصر، الأمر الذي تكفل بنشره احتفاليًا .

في عام 1869، تمت دعوته مع ليبسيوس وبروغش من قبل الخديوي إسماعيل لافتتاح قناة السويس. ثم خدم مع ليبسيوس بصفته مرشدا لولي العهد الأمير فريدريك ويليام (Frédéric Guillaume) (الإمبراطور المستقبلي لفريدريك الثالث) الذي نال استحسانه وصداقته .

وفي عام 1872 تم تعيينه أستاذًا استثنائيًا في الجامعة الإمبراطورية الجديدة في ستراسبورغ. وبهذه الصفة قام برحلة رابعة إلى مصر من عام 1874 إلى عام 1876 كرس خلالها نفسه بشكل أساسي لدراسة معبد دندرة الذي كان المفضل لديه. وفي عام 1879 تم تعيينه أستاذًا متفرغًا لعلم المصريات في ستراسبورج، وبذلك أصبح أول من يشغل هذا الكرسي ومنشئه في جامعة ستراسبورغ. ركزت دراساته بشكل رئيسي على جغرافية مصر القديمة والنصوص من العصر اليوناني الروماني. لقد تم تقدير عمل دويميشن وشخصيته بشكل مختلف .

يروي أدولف إيرمان العظيم (Adolf Erman) من برلين، أن زملائه في ستراسبورغ أطلقوا عليه غدرًا اسم الغبي "Dümmlichen"، وأن كلماته مشتتة وأفكاره مشوشة. نظرًا لعدم قدرته على جدولة عمله، اضطر الناشرأوكن (Onken) إلى سحب المجلد "مصر" Aegypten من كتابه تاريخ العالم (Weltgeschichte) ليعهد بها إلى إدوارد ماير(Édouard Meyer)، لأنه لم يتمكن إلا من كتابة مقدمة ضخمة من 300 صفحة مخصصة لجغرافية البلاد! اضطر محرر باديكير إلى إلغاء المجلد المقرر لصعيد مصر. ويستشهد أيضًا بالأسلوب المؤكد، بجمل مكونة من 30 سطرًا، للإشعار الذي أهداه دويمشن إلى ليبسيوس، دون أن ينسى الحكاية التي يرويها دويمشن دائمًا عن تنقيباته في مقبرة بيتمينوفيس في طيبة حيث ضمد نفسه بقشور البرتقال على جسده، الفم وتحت الأنف للحماية من رائحة الخفافيش! ومن المؤكد أن عمله تباطأ إلى حد كبير وأعاقه المرض في السنوات الأخيرة من حياته. ولا تتوفر لدينا معلومات عن مصير أوراقه العلمية وأرشيفه الخاص ودون وجود ورثة مباشرين، دفن في مقبرة سان غال في ستراسبورغ، حيث دُفنت زوجته أيضًا، في عام 1943 نقل قبره إلى عائلة مولر بيرسون (Müller-Pierson). كان دويميشن عضوًا في العديد من الجمعيات العلمية. حائز على وسام التاج ووسام النسر الأحمر، بروسيا؛ فارس وسام القديس ميخائيل بافاريا؛ من وسام المجدية من الإمبراطورية العثمانية. أخيرًا في عام 1887، حصل على صليب الشرف من وسام تاج فورتمبيرغ مع الترقية الشخصية إلى طبقة النبلاء[1].

ومن أهم مؤلفاته:

- شهادة بناء مجمع المعبد في دندرة، لايبزيغ 1865.
- النقوش الجغرافية للآثار المصرية القديمة، (المجلد الثالث)، لايبزغ 1865-1885.

- نقوش التقويم المصري القديم، لايبزغ 1866.
- النقوش التاريخية للآثار المصرية القديمة، (المجلد الثاني)، لايبزج 1867، 1868.
- تاريخ بناء معبد دندرة ووصف الأجزاء الفردية للمبنى حسب النقوش الموجودة على الجدران، ستراسبورغ 1878.
- قوائم التضحيات التقويمية من مدينة هابو، لايبزيغ 1881.
- تاريخ مصر القديمة، 1878-1883.
- قصر دفن باتواميناب في مقبرة طيبة، لايبزيغ 1884-1894.

حيث يقول في مقدمة كتابه **واحات الصحراء الليبية** الصفحة 5 ما يلي: «**...كما أن بحر الرمال الكبير في الصحراء الكبرى، من ناحية أخرى، منطقة لا تشجع على الزيارات بسبب أهوالها فالمعلومات المهمة عن الصحراء الليبية، والتي لم يزرها إلا عدد قليل من الباحثين حتى الآن، والمكتسبة من خلال الرحلات الخطرة والشاقة فيما يتعلق بجغرافيتها الطبيعية وأرصادها وجيولوجيتها وحيواناتها ونباتاتها، فيما يتعلق بموقع وامتداد وطبيعة المناطق المختلفة، وكذلك فيما يتعلق بعدد وحجم أكثر أو المناطق الأقل كثافة سكانية الموجودة فيها وما نوع بقايا المباني من العصور القديمة التي تم الحفاظ عليها هناك، هنا معابد ومقابر من مصر القديمة، هناك القلاع الرومانية والأديرة المسيحية، وكيف ذلك مع الطرق المختلفة التي تربط الفرد الواحات والتي يحافظ سكان هذه المناطق على حركة مرورية فيها إلى حد ما، حسب الموسم، وكذلك مع وادي النيل المجاور له والدول المجاورة له شمالاً وغرباً وجنوباً...** » ويضيف قائلا: «**...إن المعلومات التي قدمتها الآثار حتى الآن عن واحات الصحراء الليبية التي لم يعرفها المصريون القدماء فحسب، بل كانت خاضعة لهم بالفعل باعتبارها رافدا، شحيحة للغاية. المعلومات من هذا الجانب متناثرة جدًا لدرجة أنه لا توجد حتى المجموعة الهيروغليفية المستخدمة لتعيين مناطق الواحات في النقوش في هذه المجموعة...**».

واعتبر يوهانس دوميشن النقوش والنصوص المصرية القديمة من فترة ما قبل الأسرات إلى مجيء الإغريق إلى قورينة المصدر الرئيسي الذي تحدث عن الليبيين القدماء في هذه الفترة، فمنذ محاولات الليبيين الأولى لدخول مصر وحروبهم مع الملوك الفراعنة حتى وصولهم للحكم وإنشاء أسرات حكمت مصر أجمع عدد كبير من المؤرخين حسب دوميشن على أن الليبيين في عصر الحروب الليبية الكبرى لمصر، كانوا في مرحلة حضارية متقدمة إلى حد كبير، لأنهم كانوا يستعملون الأسلحة والأواني ومن المعدات اللّيبية الأخرى التي صنعها قدماء الليبيين "العربات الحربية"، فقد كان الليبو والمشواش يقاتلون المصريين بعرباتهم الحربية ، وقد غنم منها رمسيس الثالث حوالي ثالثة وتسعين عربة.

هذه هي الصورة العامة التي قدمها دوميشن في كتابه **واحات الصحراء الليبية: أسماؤها القديمة وموقعها. والمعبودات التي عبدت في معابدها بحسب روايات الآثار المصرية القديمة**، للمظاهر الحضارية للمجتمع الليبي من خلال الآثار المصرية القدمية، جوانبها المختلفة الاجتماعية، الدينية، الاقتصادية والفنية، التي توصلنا إليها من خلال المعلومات القليلة التي حوزتنا، فالآثار المصرية غطت جزءا مهما من الفراغ الموجود في مرحلة فجر التاريخ وكيف عاشها الليبيون، ولذلك يستبعد دوميشن الفكرة القائلة بأن الليبيين قد بقوا في غياهب العصور الحجرية انتظارا مجيء الفينيقيين ليدخلوهم عامل الحضارات والتاريخ من أوسع أبوابه.

3. التغلغل الألماني في ليبيا:

هذه الدراسة لم تكن الوحيدة من المانيا بل سبقه الرحالة الألماني غيرهارد رولفس (Friedrich Gerhard Rohlfs) ودون ذلك في كتاب أسماه: **السفر عبر المغرب وتسلق الأطلس الكبير واستكشاف واحات تافيلت وتوات وتيديكلت والسفر عبر الصحراء الكبرى من غدامس إلى طرابلس**، الكتاب صادر عن مطبعة كوتمان –بريمن-ألمانيا 1868.

Reise durch Marokko, Uebersteigung des grossen Atlas, Exploration der Oasen (von Tafilet, Tuat und Tidikelt, und Reise durch die grosse Wüste über Rhadames)nach Tripoli_

ولد غيرهارد رولفس في 14 أبريل1831 في ضواحي مدينة بريمن، وهو ابن طبيب. تم تجنيده في سن 18 عامًا في جيش بريمن، وحارب في شليسفيغ هولشتاين حيث تم تعيينه ملازمًا ثانيًا. سرح من الخدمة عام 1851، ودرس الطب في هايدلبرغ ثم في غوتنغن. وفي عام 1854، انضم إلى الجيش النمساوي الذي تركه بسرعة كبيرة.

ثم ذهب إلى فرنسا وانضم إلى الفيلق الأجنبي في 28 نوفمبر 1856 (الفوج الأجنبي الثاني). وبعد تكليفه بالجزائر شارك في حملة احتلال وإخضاع منطقة القبائل. تم تعيينه في فوج الرماة ثم طبيبًا عريفًا ومساعدًا وحصل على أعلى رتبة متاحة للأجنبي، وتحصل على وسام جوقة الشرف. شارك في عمليات بإيطاليا ونال عليها الوسام الإيطالي. عاد إلى الجزائر حيث تعلم اللغة العربية وأسلوب حياة السكان، ذهب في عام 1861 إلى المغرب وخطط لاستكشاف الصحراء الإفريقية، وترك الجيش الفرنسي عام 1860.

في عام 1861، عمل كطبيب شخصي لأرستقراطي مغربي في وزان وبدأ في تقديم نفسه على أنه مسلم حتى أنه قام بعملية الختان. وفي عام 1862، أراد الوصول إلى تمبكتو، فعبر المغرب من طنجة إلى أكادير، ثم منطقة درعة ومنطقة تافيلالت لكنه أصيب خلال هذه الرحلة، تعرض للهجوم وتُرك ليموت، وكادت ساقه أن تُقطع عن جسده. وقد منعته هذه الإصابات من العودة إلى أوروبا معظم حياته، حيث أدى الطقس البارد إلى تفاقمها وتمكن من الوصول إلى الجزائر. وفي سنة 1863، قام بمحاولة أخرى نحو توات، لكنه لم يتجاوز الأغواط. كان وصفه وخريطة البلاد أول من تم إعداده من خلال الملاحظة الشخصية والمعرفة العلمية .

وفي نهاية عام 1867، بأمر من ملك بروسيا، انضم إلى الحملة العقابية البريطانية إلى الحبشة. عاد إلى طرابلس عام 1868، وفي عام 1869 اجتاز الصحراء من طرابلس إلى الإسكندرية، حيث زار واحة سيوة، موقع العبادة القديمة لجوبيتر عمون. بعد عودته إلى ألمانيا، تزوج واستقر في فايمار .

خلال الحرب الفرنسية البروسية 1870-1871، سافر إلى تونس مع المستشرق الألماني والدبلوماسي السابق يوهان غوتفريد فيتزشتاين كعميل بروسي من أجل تشجيع القبائل البربرية الجزائرية على الثورة ضد فرنسا. فشلت المهمة لسببين: أولا، لأن الدفاع الفرنسي علم بالنوايا في وقت مبكر جدا، وأخيرا، بسبب سوء تقدير الوضع على الأرض.

في عام 1873، مع رحلة استكشافية مكونة من 100 جمل و90 رجلاً، تم تنظيمها تحت رعاية خديوي مصر إسماعيل باشا، استكشف رولفس الصحراء الليبية غرب سلسلة الواحات التي تحيط بوادي النيل، واكتشف أن ولم يكن المنخفض المسمى بحر بلما (نهر بلا ماء)، والذي تم تحديده على العديد من خرائط الصحراء في ذلك الوقت، موجودًا. وفي 1875-1876 استكشف برقة والصحراء الليبية وفي عام 1878 اكتشف واحة الكفرة.

روى سكان واحة الداخلة أسطورة للمستكشف هاردينج كينج، تحكي عن وصول رولفس إلى الواحة بحثًا عن الكنز في دير الحجر؛ بدعوى أنه ضحى بأحد العمال السود من حاشيته للعفريت الذي يحرس الكنز. ومن الممكن أن تكون هذه شهادة على المعاملة القاسية والاستغلالية تجاه عماله. في عام 1874 انطلق رولفس من واحة الداخلة بهدف الوصول إلى الكفرة. بحلول فبراير، وعلى بعد حوالي 100 كيلومتر (62 ميل) شمال أبو بلاص (تل الفخار) في الصحراء الغربية، بحثًا عن طريق للالتفاف حول الكثبان الرملية. برفقة كارل زيتل (Karl Zittel) ودليل يُدعى جوردانز، تعرض رولفس وزملاؤه لهطول أمطار غزيرة -وهو أمر نادر الحدوث في الصحراء. قام فريق رولفس بإعادة تخزين جمالهم وسقيها وبناء ركام من الحجارة في المكان الذي أطلق عليه اسم (" Regenfeld حقل المطر"). استمرت إعاقة تقدم البعثة غربًا بسبب تلال الكثبان الرملية الشمالية والجنوبية لبحر الرمال العظيم والتي لم تتمكن الجمال المحملة من تسلقها. أُجبرت المجموعة على التوجه نحو الشمال الغربي على طول الممرات الأسهل بين الكثبان الرملية ووصلت إلى سيوة.

في عام 1875، زار الولايات المتحدة وألقى محاضرات عن أسفاره. في عام 1878، كلفت الجمعية الألمانية الأفريقية رولفس وأنطون ستيكر (Anton Stecker) (1855-1888) بالذهاب إلى واداي. نجحوا في الوصول إلى واحة الكفرة، المعقل الرئيسي للسنوسيين، وسرعان ما قام سكان الواحة بمهاجمة روفلس ورجاله، واضطروا إلى التراجع، وشقوا طريقهم إلى الساحل في بنغازي، الذي وصلوا إليه في أكتوبر 1879. في عام 1880، رافق رولفس ستيكر (Stecker) في رحلة استكشافية إلى الحبشة؛ ولكن بعد أن سلم رسالة من إمبراطور ألمانيا إلى النجاشي عاد إلى أوروبا .

وفي عام 1885، عندما كان التنافس بين البريطانيين والألمان في شرق إفريقيا شديدًا، قام أوتو فون بسمارك بتعيين رولفس قنصلًا في زنجبار، التي رغب بسمارك في تأمينها لألمانيا. لكن بسمارك وقع في حطا بتعيين رولفس قنصلا هناك، بسبب جهله بالأعراف والمعاملات الدبلوماسية، إضافة إلى المنافسة البريطانية فلم يكن روفلس يضاهي جون كيرك (John Kirk)، العميل البريطاني، وسرعان ما تم استدعاؤه. ولم يقم بزيارة أفريقيا مرة أخرى .

توفي رولفس في 02 جوان عام 1896 في رونجزدورف بالقرب من بون.

من مؤلفاته:

- رولفس، ج.ف. (1868)، رحلة عبر المغرب، وتسلق الأطلس الكبير، واستكشاف واحات تافيليت وتوات وتيديكلت ورحلة عبر الصحراء الكبرى عبر غدامس إلى طرابلس، بريمن: ج. كوتمان.
- رولفس، ج.ف. (1874)، مغامرات في المغرب ورحلات عبر واحات درعة وتافيليت، لندن: إس. لو، مارستون. رولفس، ج.ف. (1870)، الأرض والناس في أفريقيا: تقارير من الأعوام 1865-1870، بريمن: ج. كوتمان.

- من طرابلس إلى الإسكندرية (1871).
- عبر أفريقيا (1874–75).
- مساهمات في اكتشاف واستكشاف أفريقيا (1876).
- الرحلة من طرابلس إلى واحة الكفرة (1881).
- كويد نوفي خارج أفريقيا (1886).

كان عبور رولفس للصحراء، والذي جلب له الكثير من الشهرة والشرف، إنجازًا يتم الافتخار به. لقد جمع عينات ومعلومات للآخرين، وبالتالي لم يكن باحثًا في أفريقيا بقدر ما كان "موردًا" لعلماء آخرين دون نشاط بحثي خاص به، لأنه ببساطة لم يكن لديه التعليم اللازم. وعلى أية حال، لم يكن "البحث في أفريقيا" موضوعًا أكاديميًا، بل فئة استعمارية غير أكاديمية. كما يشير أيضًا إلى حصوله على تعليم مكثف لم يحصل عليه رولفس من قبل. لقد قام بتحرير كتبه بشكل أساسي من أشخاص آخرين، وإلا لما كانت قابلة للقراءة، الأمر الذي كلفه أيضًا حصة كبيرة من عائداته. وحتى أن الدكتوراه الفخرية التي تحصل عليها من جامعة جينا قد دفع أموالا كبيرة للحصول عليها.

من وجهة نظر رولفس أن الاستحواذ على المستعمرات مفيد لأسباب مختلفة، خاصة وأن المستعمرات ستوفر منافذ للسلع الصناعية الألمانية، وخزانًا للهجرة الألمانية، وستحل "المسألة الاجتماعية" -حيث سيبتعد العمال عن الديمقراطية الاجتماعية ويصبحون بدلاً من ذلك منخرطين فيها. في مشروع وطني ولكن أخيراً وليس آخراً، كان من المفترض أن تتولى ألمانيا "مهمة ثقافية": مهمة نشر ثقافتها المتفوقة المفترضة في مختلف أنحاء العالم. كان لدى رولفس موقف إيجابي تجاه التطلعات الاستعمارية الألمانية وشارك في تنمية الرأي العام في محاضراته ومقالاته .

إجمالاً، لم يتمكن رولفس من إثبات نفسه على المستوى المهني، على الرغم من الاهتمام العام الكبير بأسفاره. كما اعترف معاصروه بافتقاره إلى التعليم وتقلبه ومبالغته في تقدير نفسه. ذروة حياته المهنية كقنصل في زنجبار عام 1885، الجزيرة التي أراد بسمارك تأمينها لألمانيا، باءت بالفشل بسبب أخطائه الشخصية والدبلوماسية وسرعان ما تم استدعاؤه. لم يعد يزور أفريقيا .

يقول في الصفحة 177 من كتابه الذي بين أيدينا قائلا: «**...وكما استطعت أن أرى بنفسي في غدامس، فإن الجزء الداخلي من المساجد كلها يرتكز على أعمدة رومانية، ومرتبة واحدة بجانب الأخرى دون تنظيم، هنا دوريك بجانب كورنثي، وهناك أيوني بجوار دوريك ، إلخ.**

وبما أن غدامس قد تم وصفها بشكل كافٍ، سأشير فقط إلى أنه توجد الآن حامية تركية صغيرة في غدامس. عندما جاء الفرنسيون مؤخرًا إلى غدامس بأبهة عظيمة لإبرام المعاهدة مع الطوارق، اعتقد السكان أنهم يعتزمون الاستيلاء على المدينة، ولذلك طلبوا من المحافظة التركية أن توفر لهم حامية. يتواجد الأتراك في غدامس منذ حوالي 20 عامًا. كان المكان مستقلاً وكثيراً ما كانت هناك حرب بين الأطراف المختلفة في المدينة. إنها مكتظة بالسكان ولا يزال عدد سكانها في تزايد. وبما أن الناس لا يريدون البناء في الحدائق لأنه ليس لديهم الكثير من الأراضي الصالحة للاستخدام، فإن المنازل مرتفعة للغاية والشوارع الضيقة مبنية فوقها، بحيث يصعب التجول في وضح النهار. وتدفع المدينة للحكومة التركية 35 ألف دورو أو 175 ألف فرنك سنويًا كضريبة. كقاعدة عامة، الباشا هو الذي يتولى قيادة المدينة، لكن لما زرتها كان الحاكم في طرابلس وينوب عنه في غدامس نائبه حامد أفندي مسؤولاً عن الإدارة. لقد زرته عدة مرات ويجب أن أقول إنه استقبلني دائمًا بلطف شديد.»

ويواصل الحديث عن رحلته من غدامس إلى طرابلس قائلا: «**...على الرغم من أن القوافل تغادر من غدامس إلى طرابلس كل يوم تقريبًا بسبب حركة التجارة الكبيرة، فقد انتظرت الشنتات (كلمة أوروبية مشوهة جعلها الأتراك من الجنود)، والتي تأتي كل شهر إلى هنا تسليم واستقبال الرسائل من المحافظة إلى مدينة الحاكم. وعندما وصل أبرمت معه عقد الإيجار إلى طرابلس، وكان معه ثلاثة جمال، وبدأت الرحلة معه في 12 ديسمبر.**» ولدى وصوله الى طرابلس كتب قائلا في الصفحة 195: «**...وبما أن آثار المعمورة لا تبدو على الإطلاق مثل بقايا رودا، فقد انفصلت عن قافلتي وتسلقت التل. هنا رأيت على الفور أنها لا تحتوي على أي قبر لمرابط، لكن الأمر برمته كان عبارة عن أنقاض قلعة سابقة، لا تزال أجزاء فردية منها محفوظة جيدًا. نظرًا لأن الحجارة المنحوتة جيدًا والأقواس والجدران المصنوعة بعناية لا يمكن أن تأتي من العرب، لكن من المحتمل ألا يكون الأتراك قد دمروا أعمالهم، وأعتقد أنها ربما كانت مباني إسبانية. كان الظلام دامسًا بالفعل عندما نزلت، لكن نيران الحراسة في قافلتنا أظهرت لي الطريق إلى معسكرنا وسرعان ما وصلت إليه.**

ظننا أنه ليس لدينا سوى يوم واحد سيرا على الأقدام إلى طرابلس، قالوا سنصل إلى المدينة في العصر، أو حوالي الساعة الثالثة إن شاء الله (إن شاء الله)، فأرسلت خادمي ليحجز لي غرفة في فندق والسؤال عما إذا كان هناك قنصل من ألمانيا في المدينة وما إذا كان هناك تلغراف،»

الخاتمة:

يلاحظ أن الدراسات التي تناولناها في هذه الورقة حول الاستكشاف والبعثات العلمية نحو ليبيا قد سبقت ثم رافقت مسار التدخل الاستعماري. ويمكن تحديد تاريخ بداية الأبحاث الأوروبية حول ليبيا في بداية النصف الأول إلى غاية

نهاية القرن التاسع عشر. وعلى الرغم ان تلك الدراسات سمحت لنا بمعرفة العمق التاريخي لليبيا في تلك الفترة إلا أنها لم تخلو من الاستطلاع وفتح الطريق للمد الاستعماري مصاحبة لدراسة الآثار والنقوش المكتوبة الموجودة بليبيا وكذا القيام بجمع قطعها الفنية. ثم استمرت عمليات البحث من خلال رسم خرائط طبوغرافية وأخرى جيولوجية إضافة إلى خرائط أخرى حملت في طياتها مهتم جوسسة أكثر منها علمية، وذلك بدراسة طبيعة الإنسان والبيئة والعوامل المحيطة والمؤثرة، الحركة التجارية والاقتصادية وغيرها، دون نسيان القوات العسكرية سواء كانت تركية أو محلية.

لم تكن تلك البعثات سواء كانت ذات طابع شخصي أو حكومي فإنها كانت مؤسسة لمشروع استعماري في ليبيا واكتساب ممتلكات جديدة، بعد أن كثفت من إرسال البعثات والرحلات الاستكشافية إليها وعملت على القيام بدراسات ميدانية دقيقة، مستعينة بالعديد من الباحثين والمغامرين ورجال الدين والأدباء بالإضافة إلى الضباط العسكريين لإنجاز التقارير والدراسات التي تمكن تلك الدول الأوروبية من معرفة والاطلاع ثم تدوين كل صغيرة وكبيرة حول المنطقة؛ الطبيعية والاقتصادية" التعرف على خبايا الصحراء، ودو والبشرية من أجل السيطرة عليها واستغلال خيراتها، وهو ما لمسناه من خلال السياسة الاستعمارية الأوروبية المنتهجة للتوغل في ليبيا وجنوب الصحراء، في محاولة إخضاع ليبيا قسرا للاستئثار بتجارة مع غرب الصحراء وشرقها، وسبر أغوارها والوقوف على أحوالها تمهيدا للسيطرة عليها.

الهوامش:

1 - هنري دوفيرييه، ولد في 28 فبراير 1840 في باريس وتوفي في 25 أبريل 1892 في سيفر، هو رحالة وجغرافي فرنسي، اشتهر باستكشافه للصحراء.

1 - شارل جان مونوار جغرافي فرنسي، ولد في 23 يونيو 1830 في إيطاليا وتوفي في 22 ديسمبر 1901 في باريس.

1 - فيليبفيل هي مدينة جزائرية بالعهد الاستعماري تسمى سكيكدة حاليا تقع شرق الجزائر العاصمة.

1 - لويس جان بابتيست ساي هو مستكشف فرنسي، ولد في 30 يناير 1852 في نانت فرنسا، وتوفي في 03 أكتوبر 1915 في نواحي تلمسان اقصى غرب الجزائر وحمل مكان دفنه اسمه واطلق على المدينة اسم بور- ساي وبعد استقلال الجزائر تم تسمية المدينة بـ: مرسى بن مهيدي

1 - بول فرانسوا كزافييه فلاتار (Paul-François-Xavier Flatters) عسكري ومستكشف فرنسي. ولد في 16 سبتمبر 1832 في لافال وقتل في 16 فبراير 1881 ببئر القرامة بالصحراء الجزائرية، غادر ورقلة في 5 مارس 1880 بهدف دراسة إمكانية إنشاء طريق تجاري جديد مع إنشاء خط السكة الحديد العابر للصحراء بين الجزائر والنيجر، وفي 4 ديسمبر عاد إلى طريق الصحراء في رحلة ثانية مكونة من 93 رجلا من بينهم سبعة أعضاء علميين وعسكريين، وخرجوا ومعهم ما يقرب من 280 حيوانا (جمال، خيول، الحمير) يتوقف طريقهم عند بئر القرامة قرب تمنراست اقصى جنوب صحراء الجزائر، حيث تتعرض البعثة لهجوم من قبل طوارق الهقار وتاجر. قتل كل الفرنسيين. ولم يتمكن سوى عشرين رجلا فقط من العودة إلى ورقلة.

1 - الغَوْرُ : كلُّ مُنْخفِض من الأرض.

1 - جورجيو ديس جيني من مواليد 29 أبريل 1761 في شومونت، بيدمونت، وتوفي في 3 أو 8 جانفي 1839 في جنوة هو أميرال من سردينيا، ويعتبر المؤسس الحقيقي للبحرية السردينية، وهو سلف البحرية الإيطالية مارينا.

1 - أسس أحمد القرة مانلي أسرة حاكمة سميت بالأسرة القرمانلية استمرت في حكم البلاد 124 عاما حتى 1835م ويعتبر يوسف باشا أبرز ولاة هذه الأسرة، فقد كان يوسف باشا حاكما طموحا أكد سيادة طرابلس الغرب على مياهها الإقليمية وفرض الجزية (رسوم المرور) عبر مياه البحر الأبيض المتوسط على كافة سفن الدول البحرية الأمريكية والأوروبية (بريطانيا والسويد وفرنسا والجمهوريات البحرية الإيطالية). كان حكم الأسرة القرمانلية للمنطقة ملكيًا وراثيًا بحكم الواقع من عام 1711 إلى عام 1835، على الرغم من بقائها تحت الحكم العثماني اسميًا. وقعت الحرب الأهلية الطرابلسية في ظل حكم الأسرة القرمانلية.

1 - تشارلز فيليكس (الإيطالي: كارلو فيليس جوزيبي ماريا؛ 6 أبريل 1765 - 27 أبريل 1831) كان ملك سردينيا وحاكم ولايات سافويارد من 12 مارس 1821 حتى وفاته في عام 1831. وكان آخر عضو من الذكور في مجلس النواب. من سافوي التي بدأت مع فيكتور أماديوس الأول من سافوي، وتسببت في استيلاء سلالة الأخ الأصغر لفيكتور أماديوس الأول توماس فرانسيس، أمير كارينيانو، على العرش بعد وفاة فيليكس.

1 - جورجيو ديس جيني من مواليد 29 أبريل 1761 في شومونت، بيدمونت، وتوفي في 3 أو 8 جانفي 1839 في جنوة هو أميرال من سردينيا، ويعتبر المؤسس الحقيقي للبحرية السردينية، وهو سلف البحرية الإيطالية مارينا.

1 - Morris L. Bierbrier: Who Was Who in Egyptology (de). 4th revised edition. Egypt Exploration Society, Londres 2012, (ISBN 978-0-85698-207-1), p. 164.